الإنسانُ حضاريّ بالطّبْع

«حَضارة» مِن حَضَرَ يَحْضُرُ. فماذا يحضرُ، وماذا يغيبُ؟

يحضر الشّخص ليعمل مع الآخرين لكي **يَتأنْسَنَ** و**يؤَنْسِنَ** محيطه. بذلك يهيّئ الشّروط اللاّزمة الّتي توفّر الكرامة لديه. فمتحضّر كلّ مجتمع يحترم الكرامة ويجسّدها في معاملات أفراده. وكلّما تحقّقت الشّروط لوجود الكرامة لدى مواطنين بالتّساوي، تحضّر المجتمع. وللكرامة أبعاد توجد بوجودها، وتنعدم بانعدامها. هذا المبدأُ هو المحرّك للحضارة كحضارة يصنعها الإنسان، أجيالا بعد أجيال، من أجل الإنسانيّة. وككلّ المبادئ، يكتسب بالتّربية والتّدريب حتّى يغدوَ إرثا جماعيّا، ثمّ يَتذوّتَ في كلّ فرد ويهيمن على الضّمير والوجدان، في نفس الآن...

فأسمدة الحضارة الإنسانيّة هي الثّقافات الخاصّة بمختلف الشّعوب في مبادلاتها وتلاقحها... فالحضارة تراث مشترك بين جميع الشّعوب، قديمها وحديثها. إنّها إرث إنسانيّ حيّ، في نموّ لا ينقطع. مثَلُها كمثل بحر زاخر بالمياه والأمواج، وله روافدُ عديدة تنصبُ فيه على الدّوام تلك الرّوافد. هي الثّقافات القوميّة. الثّقافة هي الكيان الفرديّ والجماعيّ للحياة، تحدّده الجغرافية والتّاريخ القوميّ الخاصّ. وتنمو الثّقافات بالمُثاقَفات في ما بينها، بحيث إنّ مجموع الثّقافات يمثّل التّربة الضّروريّة لخصوبة الحضارة العالميّةِ/ الإنسانيّة. فهدف كلّ ثقافة هو تجهيز الأشخاص بأفضل الوسائل البدنيّة والعقليّة والرّوحيّة الّتي تمكّنهم من الرّقيّ على أحسن وجه طبقا لمعطيات الوسط الجغرافيّ وللمناخ «**الفكرلوجيّ**» السّائد. يرث قوم تلك المعطيات الماديّة والمعنويّة، وتكيّفهم فيتكيّفون معها مبتكرين فيها وبها، فيختلفون عن غيرهم وتختلف ثقافاتهم عن غيرها. وبما أنّ الإنسان كائن مجتمعيّ فإنّه يضطرّ إلى الاندماج في عشائر ابتداء من أصغرها (الأسرة الضيّقة) إلى أكبرها (الشّعب/الأمّة)...

كلّ مجتمع يحتكّ بمجتمعات أخرى، وعن هذا الاحتكاك تنتج قوى، تارة جاذبة، وتارة دافعة في تفاعلات المثاقفات. إنّه تيّار حيويّ متوتّر نحو هدف يتجاوزه: الإسهام في الحضارة الإنسانيّة الّتي بفضلها يشعر كلّ إنسان وكلّ شعب أنّه من أمّة أعمّ من كلّ الخاصّيات هي الإنسانيّة. فهو في آنٍ واحد جزء من كلّ، وجزء من وحدة خاصّة. وكلّما أدركت ثقافة قوميّة أصالتها شعرت بضرورة التّفتّح أكثر على ثقافات قوميّة أخرى، وعلى الملتقى العامّ ومصبّها جميعًا، الحضارة الإنسانيّة...

أنْسَنَ: وتأنْسَنَ: نُقل وانتقل من الوجود الطّبيعيّ إلى الإنسان

الفكرلوجيّ: التّحوّل الفكريّ للإيديولوجيا (علم الأفكار)

إنّ الحضـــارة أضخم من أن يحتكرها شـــعب أو عدّة شـــعوب لوحدها. فكثير من الشّعوب الّتي تسهم حديثا في حضارة التّصنيع لم يكن لها وجود تاريخيّ فيما مضى. فالغـــرب بمفهومه المعاصر لم يكن له حضور وإســـهام في الحضارة قبل قرون معدودة. حقّـــا، حضارة التّصنيع مدينة للغرب بالكثير، ولكنّ الغـــرب لم يحقّق هذه المرحلةَ من الحضارة الإنســـانيّة إلاّ لأنّه ورث خـــبرات زاخرة وتراثا علميّا تجمّـــع عبر العصورِ من عطاءات وشـــعوب انقرضت (السّومريّون والفينيقيّون...) وأخرى تجمّدت (الفرس...). الحضارة الإنســـانيّة مثل كرة الثّلجِ تلتقط في تحرّكها ما تجد في مســـارها فتستسيغه. فلن يســـتطيع أحد أن يحدّد جزءا غربيّا بانعزال عن أجزاء شرقيّة. الحضارة للجميع، فـــلا هي غربيّة ولا عربيّة، لا هي صينيّة ولا روســـيّة. إنّهـــا تفاعل الثّقافات على طول العصـــور. من هذه الوجهة يمكن التّأكيد بأنّ «الإنســـان حضاريّ بالطّبع» أي ينزع إلى التّطوّر وإلى تجاوز الذّات والأوضاع إلى الأحسن.

محمد عزيز لحبابي – مجلة الوحدة عدد 4 سنة 1985 ص ص 7 - 15

محمد العزيز لَحْبَابي - كاتب مغربيّ من مواليد 25 ديســـمبر 1922 بمدينة فاس، نشـــر باللّســـانيْن العربيّ والفرنسيّ العديد من المؤلّفات الفلسفيّةِ والأدبيّة، وقد ترجمت إلى عديد اللّغات، توفّي يوم 23 أوت 1993.

محاور الاهتمام:

- مساهمة الشّعوب في الحضارة الإنسانيّة.
- العلاقة بين الحضارات.
- الحضارة الإنسانيّة والتّثاقف.